الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

م. د. محمد حسين السويطي
جامعة واسط/ كلية التربية

يُعد قصور الدراسات الأكاديمية والبحثية لأعلام الفكر الإسلامي، لاسيما أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، من أهم عوامل الضعف التي تكتنف المكتبة الأكاديمية الإسلامية، ومع أنّ الأسباب التي تقف وراء ذلك القصور واضحة لا تخفى على ذي لب، لعل أهمها العامل العقائدي الذي تمثل بالقدسية التي حظي بها الأئمة (عليهم السلام)، التي جعلت الكثير من الباحثين يترددون في البحث بهذا المجال خوفاً من الوقوع بسهو أو خطأ من غير قصد.

إن أهم ما يمكن أن تقدمه دراسة هؤلاء الأعلام، تسليط الضوء على معالم الفكر الإسلامي الأصيل الذي مثل أنموذجاً رائعاً في معالجة أحوال المجتمعات الإنسانية، من خلال واقعيته واحترامه للإنسان الذي عده أفضل المخلوقات وأسماها، فضلاً عن كونهم المنبع الأساس للمعلومات التي أوردها كبار المفكرين والعلماء المتقدمين. ويقف في طليعة هؤلاء الأعلام الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام أجمعين)، الذي ولد في الأبواء سنة (128هـ)، وأستشهد سنة (183هـ) في مدينة بغداد ودفن في الكاظمية حيث مزاره الشريف اليوم، وبذلك عاصر أربعة من الخلفاء العباسيين، هم: أبو جعفر المنصور (158-136هـ)، المهدي (169-158هـ) الهادي (169-170هـ) وأخيراً هارون الرشيد (170-193هـ)[1].

كُلف الإمام الكاظم (عليه السلام) بمهام الإمامة في مرحلة حرجة من عمر الدولة العربية الإسلامية، إذ تراجعت دولة بني العباس الفتية عن وعودها بإنصاف الناس وتحقيق الأمن والسلام، واختلطت العناصر العربية بغيرها من الأمم، ما أدى إلى انحراف المنظومة الأخلاقية لأفراد المجتمع، وظهرت تيارات فكرية متنوعة، فانبثقت الفرق والملل الدينية والمذاهب الإسلامية، فتشعبت الأمة إلى طوائف كثيرة وقع بين أفرادها الخصام والجدل حول مسائل كثيرة، منها: خلق القرآن، وصفات الخالق، والقضاء والقدر، ومسائل الغيب والثواب والعقاب، ودور

العقل في الوصول إلى الحقيقة والدين، وهذه الظروف والمشكلات المعقدة أثقلت كثيراً مهمة الإمام (عليه السلام)، إلا انه عالجها بتطبيق الشريعة الإسلامية واعتماد حوار حضاريا بناء مع الآخر، بتوظيف مهاراته المعرفية والإدارية في حل الأزمات. وخلال العصر الحديث وبعد تراجع مبدأ الوصاية وهيمنة الأقوى، تنبه قادة المجتمعات إلى أهمية الحوار الهادف في حل الأزمات بأنواعها وتخصصاتها كافة ولمسوا نتائج الإمام (عليه السلام) المثمر، لذلك تطور كثيراً هذا الفرع من العلم، وأصبح أحد أهم فروع علم الإدارة الذي يتخصص به الموهوبون وذوي المهارات الفائقة والمتنوعة، وأضحى الخبراء في هذا المجال يحتلون مراتب متقدمة في إدارات الدول والمؤسسات الكبرى في العالم.

ولضرورة فهم أساسيات منهج الحوار الحضاري البناء مع الآخر في الفكر الإسلامي الأصيل الذي مثله الإمام الكاظم (عليه السلام)، لغرض الإفادة منه في حل الأزمات الراهنة، كسياسة الإقصاء والاضطهاد والتهميش، التي تُعد أحد أهم أسباب تفكك الأمم وزوال حضاراتها، ولأجل إثبات ريادته (عليه السلام) وبيان منهجه في هذا المجال، من خلال محاولة الإجابة عن جملة أسئلة أهمها: ما الأسس المتبعة عند الإمام الكاظم (عليه السلام) في الحوار؟ وما المبادئ التي اعتمدها في التعامل مع الأحداث الجِسام؟ وكيف سخّر الظروف لتحقيق مصلحة عامة أو فك مأزق ما؟ جاءت محاولتنا البحثية هذه الموسومة (الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام الكاظم عليه السلام).

ولتنوع موضوعات حوار الإمام (عليه السلام) مع الآخر وظروفه، واختلاف أساليبه وتنوعها، اقتضت الضرورة تقسيم البحث على محاور سبعة، صدرناها بهذه المقدمة، وخصصنا المحور الأول لتوضيح مفهوم الحوار الحضاري مع الآخر، وبحثنا في الثاني أصول الحوار وآدابه مع الآخر في القرآن الكريم، واستعرضنا في المحور الثالث حوار الإمام الكاظم (عليه السلام) مع أئمة المذاهب الإسلامية وعلماء أهل الذمة، وبينا في المحور الرابع حواره (عليه السلام) مع مسؤولي الدولة العربية الإسلامية من خلفاء ووزراء وقضاة، وجعلنا المحور الخامس لحواره (عليه السلام) مع أهل المعاصي والخارجين عن جادة الحق والصواب والمناوئين له، وقفينا البحث بخاتمة تضمنت استعراضاً لأهم الاستنتاجات.

المحور الأول. مفهوم الحوار الحضاري مع الآخر:

من المفيد قبل تتبع جهود الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في حواره الحضاري مع الآخر، توضيح مفهوم مصطلح (الحوار الحضاري مع الآخر) من حيث دلالته اللغوية والاصطلاحية، بغية الوصول إلى المعنى الأوفى؛ ولأجل ذلك سوف نفككه إلى ثلاث مفردات منفصلة، هي: (الحوار) و(الحَضاري) و(الآخر). فـ(الحوار) لغةً يأتي بمعان عديدة[2]، يهمنا منها: معنى المجاوبة والمخاطبة والمناقشة التي تجرى بين أفراد أو جماعات حول موضوع معين[3]، فيقال للشخص المتمكن من أدوات الحوار وأساليبه انه حسن الحوار، أي حَسن المحاورة[4]، وترادف (الحوار) مفردة أخرى هي: (الجدال)، وهي من جَدَلَ الحبل إذا فَتَلَه؛ وتعني المفاوضة، وتستعمل في الأصل لمن خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعملت في مُقابَلَة الأدلة لظهور أرجحها[5].

أما كلمة (الحَضاري) التي هي بالأصل (حَضارة) بفتح الحاء أو كسرها، والياء مضافة تعود للحوار لغة الإقامة في الحضر[6]، واصطلاحاً هي: التقدم والرقي الإنساني في ميادين الحياة المختلفة، كاللغة والأدب والفنون والصناعة والتجارة وغيرها من مظاهر النشاط الإنسان الذي يؤدي إلى التقدم والرقي، وييسر السبل إلى حياة إنسانية هانئة وكريمة[7].

وثالث المفردات هي (الآخر) التي تعني لغة مُؤَخَّرُ كل شيء بالتشديد، خلاف مُقَدَّمِه، يقال: ضرب مُقَدَّمَ رأْسه ومؤَخَّره، وآخِرَةُ العينَ ومُؤْخِرُها ومؤْخِرَتُها ما وَلِيَ اللِّحاظَ، ومُؤْخِرَةُ الرَّحْل ومُؤَخَّرَتُه وآخِرَته وآخِره كله خلاف قادِمته[8]، واصطلاحاً هو: النقيض والمخالف للشيء[9]، والمقابل الذي لا مناص من مواجهته في الحياة.

وباقتران المفردات (الحوار) مع (الحضاري) و(الآخر) يكون المعنى الإجمالي هو: التفاهم والمناقشة العلمية الراقية التي يستعمل فيها الأدلة والبراهين مع المخالفين لأجل إقناعهم عن ما امنوا به واعتقدوا، وبالنتيجة إرشادهم إلى طريق الحق والصواب، الذي فيه مرضاة لله سبحانه وتعالى وبناءً للمجتمع الإنساني وتطويراً لمنظومته الأخلاقية.

المحور الثاني. أصول الحوار مع الآخر في القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم مصطلحات عديدة دلت على المناقشة الموضوعية الهادفة مع الآخر، بغية الوصول إلى السبيل الصحيح، ومنها: (الجدال) و(الحوار)، وقد اجتمع اللفظان في

قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[10].

وبحسب السنن الإلهية فان وجود الآخر ضرورة لابد منها لاستدامة الحياة وعدم ركودها، فالاختلاف واقع بين الناس، فهم مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم ومُدركاتهم ومعارفهم وعقولهم، وكل ذلك آية من آيات الله، كما في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}[11]، وهذا الاختلاف الظاهريّ دالٌ على الاختلاف في الآراء والاتجاهات والأعراض، وبين الله تبارك وتعالى هذا الأمور في سورة هود، بقوله عز وجل: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[12].

ويفهم من آراء العلماء في تفسير معنى هذه الآية: إن الله تبارك وتعالى لو شاء جَعل الناس على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة، لا رأي لهم فيه ولا اختيار، وإذَنْ لما كانوا هذا النوع من الخلق المُسمّى البشر؛ كالملائكة؛ مفطورين على اعتقاد الحقِّ والطاعة؛ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يقع بينهم اختلاف ولا تنازع، ولكنّ الله عز وجل خلقهم بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا مُلْهَمين، عاملين بالاختيار، وترجيح بعض المُمْكنات المتعارضات على بعض؛ لامجبورين ولا مضطرين، وجعلهم متفاوتين في الاستعداد وكسب العلم واختلاف الاختيار[13].

وعلى الرغم من حقيقة وجود التَّبائُن بين الناس؛ في عقولهم ومُدركاتهم وقابليتهم للاختلاف، إلا أن الله تبارك وتعالى وضع على الحقِّ معالمَ، وجعل على الصراط المستقيم منائر، وعليه حُمِلَ الاستثناء في الآية في قوله: {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ...}[14]، وهو المنصوص عليه في الآية الأخرى في قوله: {... فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ...}[15]، وذلك إن النفوس إذا تجرَّدت من أهوائها، وجدَّت في تَلَمُّس الحقِّ فإنها مَهْديَّةٌ إليه؛ بل إنّ في فطرتها ما يهديها، ونتلمس ذلك من قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[16].

ولأجل أن يكون الحوار بناءً ومثمراً في تصحيح مسارات أبناء المجتمعات الإنسانية، رسم الباري عز وجل في كتابه العزيز الأصول العامة والمنهج القويم للحوار والمناقشة الهادفة، والتي يمكن إيجاز أبرزها بالنقاط الآتية:

1- اعتماد سبيل العلم والمعرفة والالتزام به، ويتمثل هذا بتقديم الأدلة المُثبتة أو المرجِّحة للدعوى، وصحة تقديم النقل في الأمور المنقولة، استناداً لقوله تعالى: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[17].

2- سلامة كلام المناظر أو المحاور ووضح مفرداته واستلهام أدلته من التناقض، ومن أمثلة ذلك وصف فرعون لموسى (عليه السلام) بقوله: {فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}[18]، وهو وصف قاله الكفار لكثير من الأنبياء[19]، بما فيهم كفار الجاهلية لنبينا محمد (ﷺ)، كما في قوله تعالى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}[20]، وهذان الوصفان السحر والجنون لا يجتمعان، لأن الشأن في الساحر العقل والفطنة والذكاء، أما المجنون فلا عقل معه قط، وهذا منهم تهافت وتناقض بيّن كذبهم وضلالهم.

3- الاتفاق على منطلقات ثابتة، تكون أساس الحوار، بعضها عقلية؛ كحُسْنِ الصدق، وقُبحِ الكذب، وشُكر المُحسن، ومعاقبة المُذنب، وأخرى دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك، فيوجد في الإسلام مثلاً قضايا مقطوع بها، وإثباتها شرعاً أمر مفروغ منه، مثل: الإيمان بربوبية الله وعبوديَّته، ونبوة محمد (ﷺ)، وحرمة الربا والزنا؛ لذلك لا يجوز أن تكون المسائل المذكورة آنفاً محل حوار أو نقاش بين المؤمنين بالإسلام، لأنها محسومة، فقضية الإيمان بربوبية الله والحكم بما أنزله بكتابه الشريف منصوص عليها بعدد من الآيات القرآنية المباركة[21]، منها: قوله تعالى: {... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[22].

4- أن يتجرد أطراف الحوار، ويقصدا الحق، ويبتعدا عن التعصب، ويلتزما بآداب الحوار، ويكونا مؤهلين له، حكيمان عاقلان عارفان، لذلك قال إبراهيم (عليه السلام) في محاجَّته لأبيه حين قال: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً}[23].

5- الالتزام بالقول الحسن، وتجنب تعنيف الآخر، وفي ذلك قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...}[24]، {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...}[25].

إن غاية الدين الإسلامي الرئيسي من الحوار الحضاري مع الآخر هي إقامةُ الحجة، وشرح وجهة النظر وتبيان المعطيات التي تقوم عليها، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الآخر لفهم وجهة نظره للتفاهم معه على أساسها، ودفعُ الشبهة والفاسد من القول والرأي، فهو تعاون من المُتناظرين على معرفة الحقيقة والتَّوصُّل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق[26].

ومما يؤسف له تحجم مفاهيم مصطلح الآخر وحدوده في الوقت الحاضر، فكل اختلاف في الرأي مهما كان بسيطاً يجعل الآخر هدفاً ومرمى للسهام، ومن المفترض التعلم من منهج الإسلام البناء الذي بين أساسيات الحوار مع الآخر، والذي بلغ حداً إن حاور الله خالق السموات

والأرض الشيطان، الذي أرتكب أول خطيئة بعدم طاعة الله سبحانه وتعالى، وذلك برفضه تنفيذ أوامره تبارك وتعالى بالسجود لآدم (عليه السلام)، على الرغم من إنعامه عليه، فقد أعطاه ملكاً وعزاً لم ينله أحد من قبله[27]، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ* قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ* قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ* قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ* قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ}[28].

المحور الثالث- حوار الإمام الكاظم (عليه السلام) مع أئمة المذاهب الإسلامية وعلماء أهل الذمة:

بعد إن امتد الزمن بالرسالة المحمدية، تنوعت وجهات النظر حول الشريعة الإسلامية، وعقائد الإسلام، فأنتج هذا التنوع اختلاف الفرق والمذاهب الإسلامية، ومنها مذهب أبو حنيفة النعمان (ت150هـ)[29].

وأبو حنيفة أحد كبار علماء القرن الثاني الهجري، وقد ظهرت في عهده قضايا فكرية- دينية كثيرة، كان أبرزها الاعتقاد بـ(الجبرية)، التي اعتقد أصحابها إن الله سبحانه وتعالى هو مسير الأمور ولا ذنب للإنسان بما يقترفه من أفعال حسنة كانت أم سيئة، وكان هو من الميالين إلى هذه الفكرة مع تردد وشك ببعض تفاصيلها، لذلك ذهب إلى المدينة لمحاججة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الذي عرف بأنه من خصوم هذه الفكرة، ولما انتهى إليها –أي المدينة-، قصد دار الإمام (عليه السلام)، وجلس في دهليز الدار ينتظر الأذن بالدخول، وبينما هو جالس إذ خرج صبي يدرج، وهو الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، فبادره الإمام أبو حنيفة بالسؤال: أين يضع الغريب؟ - أي قضاء الحاجة- فالتفت إليه الصبي، وقال له: على مهلك، ثم جلس متأدباً، واستند إلى الحائط، وانبرى إليه يجيبه عن سؤاله قائلاً: "توق شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوار خلف الجدار، ولا تستقبل القبلة، ولا تستدبرها، وضع أين شئت"[30].

وهنا نجد إن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، الذي كان صبياً، قد أجاب سؤالاً فقهياً تعلق بآداب التخلي عن طريق الحوار الذي امتاز بأدبه وشفافيته ودقته العلمية، وباعتماده على طرح السؤال، وانتظار الرد، دون وجود مناظرة أو مساجلة بين الطرفين.

وقد بين الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) من خلال هذا الحوار الأماكن التي يُكره فيها التغوط ويُحرم، فبُهر الإمام أبو حنيفة ودُهل، فانه لم يحسب أن هناك صبياً يملك هذه المقدرة العلمية، لكنه تدارك ذلك لما علم إن هذا الصبي هو ابن الإمام الصادق (عليه السلام)، الذي هو فرع من دوحة النبوة واطمأنت نفسه، لذلك تقدم إليه بالسؤال الذي أعده للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قائلاً: "يا غلام ممن المعصية، هل هي من الله أو من العبد؟" وأنطلق الإمام الكاظم (عليه السلام) فأجابه: "لا تخلو من ثلاث، أما أن تكون من الله تعالى، وليس منه، فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لا يكتسبه، وأما أن تكون من الله عز وجل ومن العبد، وليس كذلك، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وأما أن تكون من العبد وهي منه، وليست من الله، فان عاقبه الله بذنبه وان عفا عنه بكرمه وجوده"[31]، وحفل هذا الاستدلال بمقتضى الحصر العقلي بجميع مقومات الأدلة العلمية الوثيقة التي لا تقبل الحل أو النقض، فأبدى الإمام أبو حنيفة إعجابه كثيراً بهذه الفتوى قائلاً: "قد استغنيت بما سمعت"[32].

ومن أخبار حوارات الإمام الكاظم (عليه السلام) الأخرى في هذا المجال، حواره مع الفقيه محمد بن الحسن (ت189هـ)[33]، حين بادره بالسؤال بمحضر الخليفة العباسي هارون الرشيد (170-193هـ) في مكة أثناء موسم الحج، قائلاً للإمام: "أيجوز للمحرم أن يظلل عليه محمله"، فقال له الإمام (عليه السلام): "لا يجوز له ذلك مع الاختيار" فسأله الفقيه محمد ثانية: "أفيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً؟" فأجاب الإمام (عليه السلام) "نعم"، فتضاحك محمد من جواب الإمام، فقال له الإمام: "أتعجب من سنة النبي صلى الله عليه واله وتستهزئ بها؟! إن رسول الله صلى الله عليه واله كشف ظلاله في إحرامه، ومشى تحت الظلال وهو محرم، وإن أحكام الدين - يا محمد- لا تقاس، فمن قاس بعضها على بعض، فقد ظل سواء السبيل" فسكت محمد وهو لا يملك جواباً[34].

وبناءً على ما تقدم يمكننا القول بالاتي:

1- على الرغم من حداثة سن الإمام الكاظم (عليه السلام)، إلا انه كان قادراً على حوار كبار فقهاء عصره وإقناعهم، وهو أمر دل على سعة علمه ومعرفته (عليه السلام).

2- بين الإمام الكاظم (عليه السلام) في إجاباته نوعين من العلوم، هي: العلوم الفقهية، كما هو واضح من حكم التخلي، وعلم الكلام والعقائد، كما هو واضح من جوابه حول حرية المعصية أم اختيارها وقضية ظلال المحرم.

ولم يقتصر الإمام الكاظم (عليه السلام) بحواراته مع أئمة وعلماء المذاهب الإسلامية، بل اهتم اهتماماً كبيراً في حواراته مع علماء أهل الذمة، بقصد استكمال نشر الرسالة الإسلامية، فجلس مع علماءهم وناظرهم في فكرهم وعقيدتهم التي امنوا بها، حتى استطاع أن يغير الكثير منهم،

ويثنيهم عن معتقداتهم، ويدخلهم إلى دين الحق والهداية، دين الإسلام، وذلك من خلال اعتماده الحوار البناء والشفاف، المستند على المعرفة العلمية واحترام إنسانية الآخر وفكره وعقيدته التي امن بها، ودون أن يخدش مشاعره أو يسمعه مالا يحب.

ومن جملة الكتابيين الذين دخلوا إلى الإسلام بفضل بركة وإرشادات الإمام (عليه السلام) ووعظه: (بريهة النصراني)، الذي كان من أقطاب النصارى ومن علمائها النابهين، وكان يطلب الحق ويبغي الهداية، فاتصل بعدد كبير من علماء الفرق الإسلامية، وحاججهم فلم يصل إلى الهدف الذي يريده، فوصفت له الشيعة، ووصف له (هشام بن الحكم)[35]، فقصده ومعه مائة عالم من علماء النصارى، فلما استقر به المجلس سأله عن أهم المسائل الكلامية والعقائدية فأجابه عنها هشام، ثم ارتحلوا جميعا إلى التشرف بمقابلة أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، وقبل الالتقاء به اجتمعوا بالإمام الكاظم (عليه السلام) فقص عليه هشام مناظراته وحديثه مع بريهة، فدار حوار بين الإمام وبريهة، مفاده:

- الإمام: يا بريهة كيف علمك بكتابك؟

- بريهة: أنا به عالم

الإمام: كيف ثقتك بتأويله؟

- بريهة: ما أوثقني بعلمي به!!

فقرأ الإمام عليه الإنجيل ورتل عليه فصوله، فلما سمع ذلك بريهة امن بأن دين الإسلام حق، وان الإمام من شجرة النبوة فانبرى إليه قائلا: إياك كنت اطلب منذ خمسين سنة أو مثلك!! ثم انه أسلم وأسلمت معه زوجته وقصدوا جميعاً الصادق فحكى له هشام الحديث وإسلام بريهة على يد الإمام الكاظم، فقال الإمام الصادق: "ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم"، ولزم بريهة الإمام الصادق وصار من خلص أصحابه، وبعد وفاته لازم الإمام الكاظم[36].

وهنا نجد الإمام الكاظم (عليه السلام) قد حاور الشخص بما يعتقد به دون أن يحاوره بما ليس ذلك، فقد حاور بريهه بكتابه الذي يعتقد به وهو الإنجيل، وهذا ما دل على سمو منهجية الحوار، من خلال إلزام الآخر بما يلزم به نفسه.

ومن جملة العلماء الذين حاورهم الإمام الكاظم (عليه السلام)، (نفيع النصراني)، فقد روي إن الإمام حضر يوماً بلاط الخليفة هارون العباسي، فلما رآه الحاجب قابله بالترحاب والتكريم، وكان في المجلس رجلاً من النصارى اسمه نفيع، فلما رأى ذلك شعر بالغيظ، فالتفت إلى الحاجب وندد بإجراءاته وتفضيله للإمام وتقديمه عليه.

ولما انتهى الإمام من المقابلة خرج فأقبل عليه نفيع، وأمسك بزمام دابته، وكله غيض وحقد وحسد على الإمام، فقال للإمام من أنت: فأجابه الإمام: "إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله، وابن إسماعيل ذبيح الله، وابن إبراهيم خليل الله، وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله عز وجل على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج إليه، وان كنت تريد المفاخرة فو الله ما رضي مشركوا قومي بمسلمي قومك أكفاءاً لهم حتى قالوا يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، وان كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله بالصلاة علينا في الصلوات المفروضة تقول: اللهم صل على محمد وال محمد، فنحن آل محمد، خل عن زمام دابتي"، وانصرف نفيع وهو لا يبصر طريقه من الخجل والعار الذي وسمه به الإمام(37).

وهنا نلحظ إن لغة الحوار مختلفة، وهي تمتاز بالصراحة المتناهية التي لا تخل من الحزم، وسبب ذلك هو تشخيص الإمام الكاظم (عليه السلام) تعنت الآخر وحسده، الذي قوضه عن استعمال الحوار المؤدب مع الإمام، لذا جاء جواب الإمام حازماً مبيناً للآخر انه يستحق كل ما شاهده من تعظيم وتقديم.

ومما ذكر في هذا الصدد أيضاً انه كان في الشام راهب تقدسه النصارى وتعظمه، وكان يخرج لهم في السنة يوماً فيعظمهم، فالتقى به الإمام الكاظم (عليه السلام) في ذلك اليوم الذي يعظ به، وقد طافت به الرهبان وعلية القوم، فلما استقر المجلس بالإمام التفت إليه الراهب بادئاً حواراً علمياً معه، قائلاً: يا هذا أنت غريب؟ فأجابه الإمام: نعم، ثم أستكمل الحوار بالآتي:

- الراهب: منا أو علينا
- الإمام: لست منكم
- الراهب: أنت من الأمة المرحومة
- الإمام: نعم
- الراهب: أمن علمائها أم من جهالها
- الإمام: لست من جهالها

ونلحظ هنا في رد الإمام (عليه السلام) قمة التواضع، نافياً برده النقص دون إثبات الكمال، وفي الوقت نفسه رسالة أثبت فيها الكمال لكن بصيغة مؤدبة، وبشكل غير مباشر.

- فاضطرب الراهب وسأل الإمام عن أعقد المسائل عنده قائلا: كيف شجرة طوبى أصلها في دار عيسى عندنا، وعندكم في دار محمد وأغصانها في كل دار؟

- الإمام: إنها كالشمس يصل ضوئها إلى كل مكان وموضع وهي في السماء

- الراهب: إن الجنة كيف لا ينفذ طعامها وان أكلو منه وكيف لا ينقص منه شيء؟

- الإمام: انه كالسراج في الدنيا يقتبس منه ولا ينقص منه شيء

- الراهب: إن في الجنة ظلاً ممدوداً ما هو؟

- الإمام: الوقت الذي قبل طلوع الشمس، هو الظل الممدود، ثم تلا قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً)[38].

- الراهب: إن أهل الجنة يأكلون ويشربون كيف لا يكون لهم غائط ولا بول؟

- الإمام: إنهم كالجنين في بطن أمه

- الراهب: إن لأهل الجنة خدما كيف يأتونهم بما أرادوا بلا أمر؟

- الإمام: إن الإنسان إذا احتاج إلى شيء عرفت أعضاؤه ذلك فتعرفه الخدم فيحققون مراده من غير أمر

- الراهب: مفاتيح الجنة من ذهب أم من فضة؟

- الإمام: مفتاح الجنة قول العبد لا الله إلا الله

- الراهب: صدقت، ثم انه اسلم هو وقومه[39].

وهنا نجد إن الإمام الكاظم (عليه السلام) قد نحى في حواره، وهو يرى إن المقابل ممن يريدون الحقيقة، منحى عقلي، استخدم فيه أسلوب الاستدلال العقلي والربط المقنع، وكانت نتيجته نجاح الحوار مع الآخر وإقناعه بدين الإسلام، رغم مكانته في قومه.

كما وذكر في هذا الصدد انه قصد وفد من علماء اليهود الإمام الصادق (عليه السلام)، ليحاجونه في الإسلام، فلما مثلوا بين يديه، انبروا إليه يطلبون منه الحجة والدليل على نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قائلين: أي معجزة تدل على نبوة محمد؟

- الإمام الصادق: كتابه المهيمن الباهر لعقول الناظرين، مع ما أعطي من الحلال والحرام، وغيرهما مما لو ذكرناه لطال شرحه

- علماء اليهود: كيف لنا أن نعلم هذا كما وصفت؟

- فقال لهم الإمام موسى الكاظم، وهو صبي وكان حاضراً، وكيف لنا بأن نعلم ما تذكرون من آيات الله لموسى (عليه السلام) على ما تصفون؟

- علماء اليهود: علمنا ذلك بنقل الصادقين

- الإمام موسى الكاظم: فاعلموا صدق ما أنبأتكم به بخبر طفل لقنه الله تعالى من غير تعليم ولا معرفة عن الناقلين، فبهروا علماء اليهود وامنوا بقوله، الذي هو المعجزة بحق، وهتفوا معلنين إسلامهم قائلين: نشهد إن لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله، وإنكم الأئمة الهادون والحجج من عند الله على خلقه[40].

المحور الرابع- حوار الإمام الكاظم (عليه السلام) مع مسؤولي الدولة العربية الإسلامية:

امتاز الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بتنوع أساليب حواره مع مسؤولي الدولة العربية الإسلامية مع الالتزام الكامل بتوجيهات الإسلام وتعاليمه الرافضة للظلم والعدوان، بغية تقديم دروس عملية لأفراد المجتمع الإنساني في التفاهمات والمناقشات مع المخالفين لهم ولآرائهم، وبالنتيجة تحقيق مجتمع تسوده مفاهيم الخير والتسامح والعدل والمساواة والأمن والأمان.

ومن ذلك ما ذكرته المصادر عن حواره مع الخليفة المهدي بن المنصور العباسي (158-169هـ)، حيث ذكر فيما خص هذا الحوار إن المهدي حج بيت الله الحرام، وبعد أدائه للمناسك زار قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فاجتمع به الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) هناك، فلما استقر المجلس وجه له الخليفة المهدي سؤالاً على النحو الآتي: هل الخمر محرمة في كتاب الله؟ فان الناس إنما يعرفونها، ولا يعرفون العلة الحقيقية في تحريمها، وقد دار على أثر ذلك حوار طويل بدأه الإمام (عليه السلام) بالجواب: الخمر محرم في كتاب الله، مستخدماً في ذلك المنهج الكلي في حواره، فبدء بالنتيجة وهو تحريم الخمر، ثم فصل في الأسباب الموجبة لهذا التحريم، وهي مستنبطة من كتاب الله العزيز، وذلك عندما سأله المهدي: في أي موضع هي محرمة؟ فأجابه الإمام (عليه السلام): قول الله عز وجل: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[41]، وفسر الإمام (عليه السلام) مراد الآية بقوله: "ما ظهر منها" يعني الزنا المعلن، ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية، وأما قوله تعالى "وما بطن" يعني ما نكح الآباء، لان الناس قبل أن يبعث النبي (صلى الله عليه وآله) إذا كان للرجل زوجة ومات عنها زوجها من بعده ابنه إذا لم تكن أمه، فحرم الله ذلك، وأما (الإثم) فإنها الخمرة بعينها، وقد قال الله تبارك وتعالى: في موضع آخر {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}[42]، فأما الإثم في كتاب الله فهو الخمر والميسر، وإثمهما كبير، وأمام جواب الإمام الشافي هذا أبدى المهدي إعجابه بالإمام (عليه السلام) فالتفت إلى وزيره علي بن يقطين[43] قائلاً له: "هذه والله فتوى هاشمية"[44]. ونلحظ هنا

اقتناع الآخر – الخليفة العباسي المهدي- برأي الإمام (عليه السلام)، وهو غاية الحوار البناء وهدفه الأسمى.

وفي نموذج ثان لحوار الإمام الكاظم (عليه السلام) مع الخليفة المهدي، الذي زعم انه سيرد كل المظالم إلى أهلها، دخل عليه (عليه السلام) فراه مشغولاً بما زعم به، فقال له: ما بال مظلمتنا لا ترد، فأجابه المهدي: وما ذاك يا أبا الحسن، فقال له (عليه السلام): فدك، فسأل المهدي الإمام (عليه السلام) وما حدودها؟ فأجابه الإمام (عليه السلام) إلى ذلك قائلاً: حد منها جبل أحد[45]، وحد منها عريش مصر[46]، وحد منها سيف البحر[47]، وحد منها دومة الجندل[48].

ونلحظ هنا استعمال الإمام (عليه السلام) أسلوباً في غاية الذكاء في حواره مع الآخر –الخليفة المهدي-، وهو استعمال الرمز في سبيل الوصول إلى غايته، فلأن الإمام (عليه السلام) كان مكلفاً بحفظ نفسه من الضرر، وفي الوقت نفسه هو مُكلف بهداية الناس ومساعدتهم في التخلص من ذنوبهم، فقد وقع في ظرف دقيق جداً، فمن جانب كانت أية بادرة تبدر منه وتفهم منها السلطة الحاكمة انه يعمل على أخذ الحكم منها، سيجابه بعقوبات قاسية، لكنه في الوقت نفسه كان مسؤولاً عن مد يَد العون للخليفة المهدي، وهو يحاول إعادة المظالم إلى أهلها.

وبعد ذلك سأل الخليفة المهدي الإمام (عليه السلام) كل هذه حدود فدك؟ فأجابه (عليه السلام) نعم، فما كان من الخليفة المهدي إلا أن تغير وجهه، فقد أعلن له الإمام (عليه السلام) إن جميع أقاليم الدولة العربية الإسلامية قد أخذت منهم، أي أنهم هم من يستحقون الخلافة، فانطلق الخليفة المهدي قائلاً: هذا كثير انظر فيه[49].

ويتبين من هذا الحوار إن الإمام الكاظم (عليه السلام) استعمل مفردات بسيطة ومفهومة ذات مقاصد عميقة، فاستطاع توصيل رسالته في نكرانه لشرعية الحكم العباسي، لكن بطريقة رمزية فهم منها المقابل تلميحاً دون تصريحاً، وهذا بحق من أعقد حالات النقاش والحوار وأسماها، والذي لا يتمكن منه إلا من اكتملت قدرته العقلية ووصلت ذروتها، وهو ما وجد عند الأئمة والأولياء الصالحين، بفضل الرعاية الإلهية لهم.

وفي زمن الخليفة هارون الرشيد توترت العلاقة كثيراً بينه وبين الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) لأسباب كثيرة، في طليعتها تخوفه من حب الناس للإمام والتفافهم حوله، لذلك اعتقله وأبقاه في السجن مدة طويلة، وقد أمر يوماً بإحضاره إلى البلاط، فلما حضر التفت إليه الخليفة هارون وقد ملئه الغيظ قائلاً: يا موسى بن جعفر: خليفتين يجبى لهما الخراج؟!!! فأجابه الإمام (عليه السلام): أعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت انه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما علم ذلك عندك، فان رأيت بقرابتك من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

أن تأذن لي أن أحدثك بحديث عن جدي رسول الله (ﷺ): "إن الرحم إذا مست الرحم تحركت واضطربت" فناولني يدك، فرق قلب هارون وزال غضبه، فمد إليه يده وجذبه إلى نفسه، وعانقه طويلاً ثم أدناه منه، وقد أغرورقت عيناه بالدموع، والتفت إليه قائلاً له بنبرات تقطر عطفاً: "صدقت وصدق جدك، لقد تحرك دمي واضطربت عروقي حتى غلبت علي الرقة، وفاضت عيناي، وأنا أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين لم أسأل عنها أحداً، فان أنت أجبتني عنها خليت عنك ولم أقبل قول أحد فيك، وقد بلغني انك لم تكذب قط، فاصدقني عما أسألك مما في قلبي"(50).

ونلحظ في هذا الموقف نجاح الإمام الكاظم (عليه السلام) في نقل هارون من حالة إلى أخرى، على الرغم من شدة غضبه على الإمام، إلا انه (عليه السلام) استطاع امتصاص غضبه من خلال استعمال أسلوب العاطفة معه، وتذكيره بصلة الرحم التي جمعهما، وهي اتصال العلويين بالعباسيين عند عبد المطلب، كما نلاحظ هنا استعماله (عليه السلام) أسلوب الحوار الهادئ القائم على مقابلة الشدة باللين، والجحود بصلة الرحم، وتصرفه (عليه السلام) في هذا الموقف لم يكن نابعاً عن حرصه على نفسه، بل حرصه على الخط المحمدي والأمانة الملقاة على عاتقه في صيانة الإسلام المحمدي الأصيل.

وبعد ذلك دار حوار طويل بين الإمام (عليه السلام) والخليفة هارون مفاده:

- الإمام: ما علمه عندي فاني مخبرك به، إن أنت آمنتني، فأجابه هارون إلى ذلك.

- الإمام: سل عما شئت.

- هارون: لم فضلتم علينا، ونحن وأنتم من شجرة واحدة، وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد، فبنو العباس وأنتم ولد أبي طالب، وهما عما رسول الله (ﷺ)، وقرابتهما منه سواء؟

- الإمام: نحن أقرب... فسأله هارون: وكيف ذلك؟

- الإمام: لأن عبد الله وأبا طالب لأب وأم، وأبوكم العباس ليس هو من أمهما.

- هارون: لم أدعيتم أنكم ورثتم النبي (ﷺ) والعم يحجب ابن العم، وقبض رسول الله وقد توفي أبو طالب قبله، والعباس عمه حي؟

- الإمام: جاء في قول جدنا الإمام علي (عليه السلام): انه ليس مع ولد الصلب ذكراً كان أم أنثى لأحد سهم إلا الأبويين والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، إلا أن تيماً وعدياً، وبني أمية قالوا: العم والد، رأيهم منهم بلا حقيقة، ولا أثر عن الرسول الكريم (ﷺ).

ولأجل التوثيق استعرض الإمام للخليفة هارون جملة من آراء فقهاء العصر الذين أفتوا بما أفتى به جده أمير المؤمنين في هذه المسألة، وأضاف إلى ذلك قوله: قال رسول الله (ﷺ): "علي أقضاكم"، وكذلك قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "علي أقضانا"، وهو -أي القضاء- أسم جامع، لأن جميع ما مدح به النبي (ﷺ) أصحابه من القراء والفرائض والعلم داخل في القضاء، وبعد ما أدلى الإمام بهذه الحجة الدامغة طلب منه هارون المزيد من الإيضاح والبيان فقال الإمام: إن النبي (ﷺ) لم يورث من لم يهاجر، ولا اثبت له ولاية حتى يهاجر، فقال له هارون: وما حجتك؟

- الإمام: قول الله تبارك وتعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير}[51]، وان عمي العباس لم يهاجر، فتغير لون هارون وتميز من الغيظ، فقال للإمام: هل أفتيت أحد بذلك من أعدائنا أم أخبرت به أحداً من الفقهاء؟ فأجابه الإمام: لا وما سألني عنها أحد سواك.

ونلحظ هنا إن حوار الإمام الكاظم (عليه السلام) كان قوياً حازماً، بدليل انه ذكر حقيقة حول جد هارون كان الآخر غير راغب في سماعها، وهنا نجد إن الحوار مع الآخر يتطلب في بعض الأحيان الشدة وذكر الحقيقة مهما كانت مرة على الآخر، ولا يستطيع ذلك إلا من كان قوي الإيمان واثقاً من نصر الله تبارك وتعالى.

ثم سكن غضب هارون وقال للإمام: لم جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله (ﷺ) ويقولوا لكم يا بني رسول الله، وأنتم بنو علي (عليه السلام)، وإنما ينسب المرء لأبيه، وفاطمة إنما هي وعاء، والنبي جدكم من قبل أمكم؟

فأجابه الإمام: لو إن النبي نشر فخطب منك كريمتك هل كنت تجيبه؟

- هارون: سبحان الله!! ولم لا أجيبه، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

- الإمام: لكنه لا يخطب مني ولا أزوجه، فسأله هارون: ولم؟

- الإمام: لأنه ولدني ولم يلدك.

ونلحظ هنا إن الإمام الكاظم (عليه السلام) استطاع إقناع الآخر بأسلوب عقلي واضح، وهذه حجة الأقوياء الواثقين بعقيدتهم، على العكس من ضعيف الحجة، فانه يلجأ عادة إلى الشدة والصراخ،

بل وحتى إيذاء الآخر عند غياب حججه عنه، وقد نجح هذا الأسلوب في الحوار نجاحاً باهراً، بدليل قول هارون للإمام: أحسنت يا موسى.

- ثم قال هارون للإمام كيف قلتم إنا ذرية النبي (ﷺ) وهو لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للأنثى، وانتم ولد بنته.

- فشعر الإمام بخطر هذا السؤال، لذا طلب من هارون إن يعفيه، لكن هارون أصر على الجواب، فأجابه: قال الله تعالى في كتابه {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[52]، كما قال له: ومن هو أبو عيسى يا هارون؟ فأجاب: ليس لعيسى أب

- الإمام: إنما ألحقه الله تعالى بذراري الأنبياء من طريق مريم، وكذلك ألحقنا بذراري النبي (ﷺ) من قبل أمنا فاطمة.

ونلحظ إن الإمام في هذا الموقف من الحوار استعفى هارون من الإجابة، وذلك مراعاة لمنهجية الحوار التي اتفق الإمام (عليه السلام) مع هارون بها، عندما طلب منه ترك التقية التي يوقن بها الشيعة، وهنا قدم الإمام درساً مهماً في الحوار البناء مع الآخر، وهو الاتفاق على المنهجية في الحوار أولاً والعمل على الالتزام بها ثانياً، ودليل ذلك إن الإمام (عليه السلام) عندما قبل أن يترك التقية، وهي واجب عقلاً وشرعاً، بقي وفياً لهذا الشرط، وعندما حصلت مزاحمة بين التقية والالتزام بمنهج الحوار طلب الإمام من هارون الإعفاء من الجواب، ولم يجب إلا بعد إلحاح هارون عليه بالإجابة، وهذا درساً مهماً لمن يريد حواراً ناجحاً مع الآخر، وهو الاتفاق على منهج الحوار وأساسه، ثم الالتزام به.

ولما أشتد الحوار بين الخليفة هارون والإمام الكاظم، طلب هارون من الإمام أن يزيد في حجته وبرهانه، ويوضحها بشكل أكثر تفصيلاً، فأجابه إلى ذلك فقال: قال الله عز وجل: {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}[53]، فلم يدع أحد أن النبي (ﷺ) أدخل تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فكان تأويل قوله تعالى: أبناءنا الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة وأنفسنا علي بن أبي طالب، وأضاف (عليه السلام) إلى هذه الحجة برهاناً آخر هو: إجماع العلماء أن جبرائيل (عليه السلام) قال: "يوم احد يا محمد إن هذه لهي المواساة من علي، فقال: انه مني وأنا منه، فقال: وأنا منكما"[54].

وهكذا انقطعت حجة الخليفة هارون، ولم يجد طريقاً يسلكه، أو منفذاً يهرب منه، لإدلاء الإمام الكاظم (عليه السلام) بحجج دامغة لا مجال للشك فيها، موضحاً لخصمه أساسيات الدين الإسلامي ومبادئه، ومبرهناً له القيمة السامية لأهل البيت، وصدق دعواتهم وأحاديثهم، داعماً حواره بأوثق الأدلة والبراهين.

ولم يقتصر حوار الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) على الخلفاء فحسب بل تعدى إلى المسؤولين الآخرين، ومنهم: الوزير الفضل ابن الربيع (ت208هـ)[55]، فقد ورد في هذا السياق إن الخليفة هارون العباسي تشرف بزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فاجتمع به الإمام (عليه السلام) وبعد انتهاء المقابلة، خرج الإمام راكباً بغلة فاجتاز موكب الخليفة هارون، فالتفت الخليفة إلى حاجبه الفضل بن الربيع قائلا له: عاتب هذا، فقام الفضل إلى الإمام (عليه السلام) قائلاً له: كيف لقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة التي "إن طلبت عليها لم تدرك، وان طلبت لم تفت" فأجابه الإمام: "إنها تطأطأت عن خيلاء الخيل، وارتفعت عن ذلة العير، وخير الأمور أوسطها"، وتركه وانصرف، وقد بدا على الفضل الارتباك والعي والعجز[56].

وهذا الحوار وان كان سريعاً، إلا إن فيه جملة من العبر والدروس، لعل أهمها:

1- إن الإمام الكاظم (عليه السلام) وعلى الرغم من نكرانه لشرعية الحكم العباسي، إلا انه كان غير منقطع عنه، ويجتمع به، وفي ذلك إشارة إلى قبول الآخر، لغرض الوصول معه إلى نتيجة ايجابية.

2- كان الإمام (عليه السلام) في أعماق نفسه شاعراً بتقدمه على من يدعي انه قائداً لهذه الأمة، وتجلى ذلك في تقدم الإمام(عليه السلام) على موكب هارون.

3- حمل هذا الحوار مقاصد تربوية عميقة وقيم إسلامية رفيعة، لعل أهمها: حب الناس لأهل البيت الذي جعل الإمام (عليه السلام) يسير وهو مطمئن إلى انه لن يطلب احد، ولا يطلبه احد بحق، على عكس الآخر الذي كان خائفاً من الناس، كما نتلمس في هذا الحوار إشارة غنية في إن الأمور التي يستخدمها الإنسان وسائل لا غايات، وهذا ما ابتلى به للأسف الكثير من أبناء المجتمع الإسلامي، قديماً وحديثاً، فهم يتنافسون في اختيار الدابة أو العجلة التي تساعدهم في التنقل، أو أي مستخدم آخر، معتبرين ذلك أساس للتفاخر، وهذه كلها أمور تنم عن فراغ المحتوى الفكري عند من يعتقد ذلك.

ومن حوارات الإمام الكاظم (عليه السلام) الأخرى في هذا الصدد حواره مع القاضي أبو يوسف (ت183هـ)[57]، فقد كلف الخليفة هارون العباسي قاضي قضاته أبا يوسف بمناظرة الإمام

موسى الكاظم (عليه السلام) بحضرته، عسى أن يحرجه أو يثبت عليه ضعفاً فيتخذ من ذلك وسيلة للضغط على الإمام، ولما اجتمع الطرفان، دار بينهما، ابتدأه أبو يوسف بسؤاله للإمام (عليه السلام):

- ما تقول عن التضليل في المحرم؟

- الإمام: لا يصح

- أبو يوسف: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟

- الإمام: نعم

- أبو يوسف: فما الفرق بين الموضعي؟

- الإمام: ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟

- أبو يوسف: لا

- الإمام: أتقضي الصوم؟

- أبو يوسف: نعم

- الإمام: ولم؟

- أبو يوسف: هكذا جاء

الإمام: هكذا جاء هذا

فسكت أبو يوسف، ولم يطق جواباً، وبدا عليه الخجل والعجز، فقال له الخليفة هارون الذي خيم عليه الحزن والشقاء: ما أراك صنعت شيئاً؟ فقال أبو يوسف: "رماني بحجر دامغ"(58).

وقد بين الإمام (عليه السلام) في هذا الحوار الأسلوب العلمي المنطقي في الإقناع وتبادل الحجج العلمية، من خلال رد الحجة بالحجة والدليل بالدليل، فبعض النواهي الشرعية لاتعرف الحكمة في النهي عنها، لذا لا يمكن التدقيق فيها، وبالنتيجة يصل الحوار إلى نقطة لا يمكن الاستمرار فيه، بل يجب على المحاور الاقتناع بحجة المحاور، وهذا ما سار عليه الإمام، كما قدم في الوقت نفسه درساً بليغاً مفاده: إن من أساسيات الحوار أن يكون المحاور قادراً ومتمكناً من المجال الذي يتم الحوار فيه، وكلما كان الشخص أكثر تخصصاً كانت نتائج الحوار أكثر ثمرة ونضجاً.

المحور الخامس- حوار الإمام الكاظم (عليه السلام) مع أهل المعاصي والمناوئين له:

وضع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في أوليات منهجه التربوي إرشاد الناس إلى الحق وهدايتهم إلى الصواب، فقام بدور مهم في إنقاذ جماعة كثيرة ممن أغرتهم الدنيا وجرفتهم بتياراتها، وببركة إرشاده ووعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغي والضلال، وصاروا في طليعة المؤمنين والمصلحين. ومن أولئك الجارية التي استخدمها الخليفة هارون العباسي لغرض الإيقاع بالإمام عندما زجها معه في سجنه، وبعد مدة أرسل الخليفة هارون خادمه ليتفحص الجارية، وكان يظن شيء قبيحاً قد حصل، فوجدها ساجدة لربها، لا ترفع رأسها، وهي تقول في سجودها: "قدوس قدوس سبحانك سبحانك"، فمضى الخادم وأخبر هارون بما شاهده وسمعه، فقال: "سحرها والله موسى بن جعفر بسحره علي بها"، فجيء بها إليه، وهي ترتعد قد شخصت ببصرها نحو السماء، وهي تذكر الله تبارك وتعالى وتمجده، فقال لها هارون: ما شأنك، قالت: شأني الشأن البديع، إني كنت عنده واقفة، وهو قائم يصلي ليله ونهاره، فلما انصرف من صلاته قلت له: هل لك حاجة أعطيكها؟ فأجابني: وما حاجتي إليك؟ فقلت له: إني أدخلت عليك لحوائجك، فقال لي: فما بال هؤلاء وأشار بيده إلى جهة، "فالتفت فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري، ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج، وعليها وصفاء ووصايف لم أرى مثل وجوههم حسناً، ولا مثل لباسهم لباساً، عليهم الحرير الأخضر، والأكاليل والدر والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل، ومن كل الطعام فخررت ساجدة حتى أقامني هذا الخادم، فرأيت نفسي حيث كنت"، فقال لها الخليفة هارون، وقد أترعت نفسه بالحقد: يا خبيثة لعلك سجدت، فنمت فرأيت هذا في منامك، فأجابته: لا والله يا سيدي، رأيت هذا قبل سجودي، فسجدت من أجل ذلك، فالتفت هارون إلى خادمه، وأمره باعتقال الجارية، وإخفاء الحادث لئلا يسمعها أحد من الناس، فأخذها الخادم واعتقلها عنده، فأقبلت على العبادة والصلاة فإذا سئلت عن ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح، وقالت إني لما عاينت من الأمر نادتني الجواري يا فلانة ابعدي عن العبد الصالح حتى ندخل عليه فنحن له دونك، وبقيت هذه الجارية عاكفة على العبادة بفضل بركة الإمام (عليه السلام) حتى التحقت بالرفيق الأعلى قبل أيام من استشهاد الإمام (عليه السلام)[59].

وهنا نجد إن الحوار عند الإمام (عليه السلام) قد أخذ منحى آخر، وذلك من خلال تفعيله بالإيحاء دون الكلام، فعندما نظرت الجارية إلى فعل الإمام وعبادته وسموه، اقتنعت بمنهجه، وتركت سيرتها القديمة وغيرت سلوكها من المعصية إلى الطاعة، دون أن يطلب منها الإمام (عليه السلام) ذلك بشكل مباشر، وهنا كان الإمام مصداقاً لوصية أبيه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لأهل بيته وشيعته: "كونوا لنا دعاة صامتين... تعملون ما أمرناكم به من العمل بطاعة الله، وتنتهون عما نهيناكم عنه من ارتكاب محارم الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الأمانة،

وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولا يطالع الناس منكم إلا على خير، فإذا رأوا ما أنتم عليه... علموا فضل ما كان عندنا"[60].

وبهذا المنهج الحواري الرائع استطاع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) التأثير بجملة من الشخصيات المهمة، وتصحيح مسار سلوكها إلى ما فيه رضاً لله سبحانه وتعالى وخدمة للمجتمع الإنساني، ومنها: شخصية الوزير الفضل بن الربيع، الذي رفض أوامر السلطة العباسية في قتل الإمام لأكثر من مرة، لأنه ما شاهده إلا وكان ساجداً عابداً صائماً ذاكراً الله تبارك وتعالى[61]، وكذلك تأثرت أخت السندي بن شاهك، بما شاهدته من عبادة الإمام وزهده وورعه وتقواه، عندما كان مسجوناً عند أخيها، فكانت كلما نظرت إليه وهو في سجنه مضيق عليه، قالت: "خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل"[62].

ومن هذه الحوارات والمواقف، نستطيع القول إن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قدم أسلوباً حوارياً آخراً في إقناع الآخر، وهو باب الفعال دون المقال، وذلك من خلال إظهار السلوك الحسن والابتعاد عن المنكرات، والتعامل بالأخلاق الإسلامية الصحيحة، فبهذا الشكل يكون الفعل أكثر تأثيراً من القول بأحيان كثيرة.

ومن حوارات الإمام الكاظم (عليه السلام) الأخرى في هذا الصدد، حواره مع بشر الحافي (ت227هـ)[63]، الذي كان في أول أمره من الفاسقين والشاربين للخمر، والمنصرفين إلى اللهو والمجون، فأجتاز الإمام (عليه السلام) يوماً من داره في بغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء، وخرجت جارية من داره وبيدها قمامة فرمت بها في الطريق، فالتفت إليها الإمام (عليه السلام) قائلا: يا جارية: صاحب هذا الدار حر أم عبد؟، فأجابته: انه حر يا سيدي، فقال الإمام (عليه السلام): صدقت لو كان عبداً لاستعمل أدب العبودية وما كلفك بإلقاء القمامة في طريق الناس، وترك اللهو والطرب مخافة من مولاه، ودخلت الجارية بعد ذلك إلى الدار، وكان بشر على مائدة السكر، فقال لها: ما أبطأك؟ فنقلت له الحوار الذي دار مع الإمام، فخرج بشر مسرعاً إلى الإمام، فتاب على يديه واعتذر منه وبكى، وصار بعد ذلك معروفاً بورعه وتقواه حتى فاق عصر زمانه[64].

وقدم هذا الحوار لون آخر من ألوان التعامل مع الآخر، أظهر فيه الإمام (عليه السلام) لغة تربوية عالية المستوى، كان لها أكبر الأثر في الانقلاب الفكري والسلوكي الذي حصل لبشر الحافي، ويمكن إيجاز مميزات هذا الحوار بالنقاط الآتية:

1- استعمال الرمز أثناء الحوار، بدليل إن الإمام (عليه السلام) رمز لحرية الشخص كونه متحرر عن قيود الله ونواهيه.

2- كان الحوار غير مباشر، وتم عن طريق وسيط، هو الجارية.

3- سرعة استجابة المتلقي، وهو أمر دل على سعة عمق المعرفة الموجودة لدى المحاور، وهو الإمام (عليه السلام)، وذلك من خلال اختياره العبارات المؤثرة، كما انه في الوقت نفسه دل على وعي وفطنة الآخر وإدراكه لمعنى الكلام.

4- تنبيه الإمام إلى قضية هامة في صحة المجتمع، إلا وهي الحفاظ على النظافة العامة، وعدم إلقاء النفايات في الشوارع وأماكن تجمع الناس.

وامتاز حوار الإمام الكاظم (عليه السلام) مع مناوئيه ومبغضيه كافة باللطف والإحسان، واضعاً نصب عينيه قوله تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...}[65]، مقدماً للمجتمع الإسلامي درساً رائعاً عن كيفية النصح والإرشاد، ومبيناً ان الدعوة والتبشير لابد أن يبتنيان على الحق الرفيع، ويرتكزان على سعة الصدر والحلم، وإذا لم يحفهما ذلك فإنها لا تكاد تجدي في ميادين الإصلاح، وكان (عليه السلام) يوصي أبناءه بالتحلي بذلك قائلا لهم "يا بني إني أوصيكم بوصية من حفظها انتفع بها، إذا أتاكم آت فاسمع أحدكم في الإذن اليمنى مكروها ثم تحول إلى اليسر فاعتذر لكم وقال: إني لم اقل شيئا فاقبلوا عذره..."[66].

ومما روي في هذا الصدد إن شخصاً من أحفاد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أساء إلى الإمام الكاظم (عليه السلام)، وكال السب والشتم له ولجده الإمام علي (عليه السلام)، فأراد بعض شيعته اغتياله، فنهاهم عن ذلك أشد النهي، ورأى أن يعالجه بغير ذلك، فسأل عن مكانه، فقيل انه يزرع في بعض نواحي المدينة، فركب بغلته ومضى إليه متنكراً فوجده في مزرعته فأقبل نحوه، فصاح به العمري لا تطأ زرعنا، فلم يعتن (عليه السلام) إذ لم يجد طريقاً يسلكه غير ذلك، ولما انتهى إليه جلس إلى جنبه، ولاطفه وحدثه بأطيب الحديث، ودار حوار بين الطرفين، بدأه الإمام بسؤال: كم غرمت في زرعك هذا؟ فأجابه حفيد عمر: مائة دينار، فقال له الإمام: كم ترجوا أن تصيب منه؟ فأجابه حفيد عمر: أنا لا أعلم الغيب، فكرر عليه الإمام سؤاله بقوله: قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه؟ فأجابه حفيد عمر: مائتا دينار؟

وعند ذاك أعطاه الإمام ثلاثمائة دينار وقال: هذه لك، وزرعك على حاله، فتغير العمري، وخجل من نفسه على ما فرط من قبل في حق الإمام، وتركه الإمام ومضى إلى الجامع النبوي، فوجد العمري قد سبقه، فلما رأى الإمام مقبلاً قام إليه تكريماً وهتف "الله أعلم حيث يجعل رسالته في من يشاء"، وبعد ذلك انصرف الإمام إلى داره وقال: لمن سألوه قتل العمري: "أيما كان خيراً ما أردت أو ما أردتم، وإنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم وكفيت شره"[67].

وفي هذا الموقف سلك الإمام الكاظم (عليه السلام) سلوكاً متأنيا في الحوار، رعاية منه لخصوصية الآخر، الذي كان معبأ ضد الإمام وضد منهجه، دون ان يعرفه أو يلتقي به، لذلك لم يستعجل الإمام النتيجة بل تدرج في الحوار مع الآخر، حتى وصل إلى الغاية المرجوة، وهي وضعه على طريق الصواب.

وفي إطار حوار الإمام الكاظم (عليه السلام) مع مناوئيه، ذكرت المصادر إن يحيى بن خالد البرمكي[68] اخبر بعض أتباعه انه يريد رجلاً من آل أبي طالب يكون بمثابة الجاسوس على الإمام الكاظم (عليه السلام)، فدلوه على ابن أخ الإمام، وهو علي بن إسماعيل بن جعفر، فأرسل إليه يحيى بن خالد على الفور، وكان الإمام موسى الكاظم يرسل إلى علي بن إسماعيل الأموال ويصله باستمرار، فلما أرسل يحيى بن خالد في طلب علي بن إسماعيل إلى بغداد، دار حوار بين الإمام وبين ابن أخيه: قائلاً له: انظر يا ابن أخي لا تؤتم أولادي، ثم أمر له بمال وفير، فلما قام من بين يديه قال الإمام الكاظم لمن حضره: والله ليسعى بدمي، فقيل له: أنت تعلم حاله وتعطيه وتصله، فقال لهم: نعم، حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله: "إن الرحم إذا قطعت فوصلت، فقطعت قطعها الله، واني أردت أن أصله بعد قطعه لي، حتى إذا قطعني قطعه الله"[69]. وهنا نجد إن الإمام الكاظم (عليه السلام) غلّب في حواره مع احد أرحامه صلة القربى على اتخاذ موقف حازم ضده، على الرغم من سعاية هذا القريب في أذيته ودمه، وهو ما يستنتج منه إن نوعية الحوار مع الآخر تختلف باختلاف جهة الحوار ومدى قربها وبعدها من المحاور.

خاتمة:

1- امتاز الإمام الكاظم (عليه السلام) بقدرته على الحوار، منذ صغره، وقد استطاع إقناع كبار الفقهاء، مثل ما حصل مع أبي حنيفة النعمان، وهو أمر دل على سعة علمه الذي لم يكن مكتسباً، وإنما هو علم خاص، ألهمه الله له.

2- استخدم الإمام الكاظم (عليه السلام) أسلوباً ذكياً في حواره مع الآخر (الحاكم)، وهو استعمال الرمز في سبيل الوصول إلى الغاية والمقصد، فبما إن الإمام كان مكلفاً بحفظ نفسه من الضرر، فهو بالوقت نفسه مكلف بهداية الناس ومساعدتهم في التخلص من ذنوبهم.

3- إن الإمام الكاظم (عليه السلام) وعلى الرغم من إدراكه عدم شرعية من تقلد زمام الخلافة، إلا انه كان غير منقطع عنهم، ويجتمع بهم بشكل مستمر، وفي ذلك إشارة إلى قبول الآخر لغرض الوصول معه إلى نتيجة ايجابية.

4- عنى الإمام الكاظم (عليه السلام) بإرشاد الناس إلى الحق وهدايتهم إلى الصواب، فقام بدور مهم في إنقاذ جماعة ممن أغرتهم الدنيا وجرفتهم بتياراتها، وببركة إرشاده ووعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغي والضلال وصاروا من المؤمنين، كبشر الحافي وغيرهم.

5- حاور الإمام الكاظم (عليه السلام) بما يعتقد به الآخر، دون ان يحاوره بما ليس ذلك، مثل حواره مع بريهه النصراني بكتابه الذي يعتقد به وهو الإنجيل، وهو أمر دل على سمو منهجية الحوار من خلال إلزام الآخر بما يلزم به نفسه.

6- تنوعت أساليب الحوار عند الإمام الكاظم (عليه السلام)، فكان من جملتها الحوار بالفعال دون الكلام، وتجلى ذلك عندما نظرت الجارية العاصية إلى فعل الإمام وعبادته وسموه، فاقتنعت بمنهجه، وتركت سيرة المعصية إلى الطاعة، دون ان يطلب منها الإمام ذلك بشكل مباشر.

هوامش البحث:

(1) كانت حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) محطة للأحزان والمضايقات من قبل السلطة العباسية، وكان هارون الرشيد من أكثر الخلفاء شدة وحقداً على الإمام (عليه السلام)، لذلك اعتقله مرات عديدة، وهدده بالقتل مراراً وتكراراً، حتى دس السم إليه في سجنه –كما جاء في روايات كثيرة- فأستشهد على أثر ذلك. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13/ ص29- ص34؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6/ ص270- ص274؛ سليمان، الإمام موسى الكاظم، ص6 وما بعدها؛ الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ج2/ ص280- ص340؛ القرشي، حياة الإمام موسى بن جعفر، ص5 ومابعدها.

(2) من المعاني الأخرى لهذه المفردة: ولد الناقة الذي ما زال مرتبطاً بها، فإذا فصل سمي فصيلاً أي مفصولاً. الرازي، مختار الصحاح، ص91؛ الطريحي، مجمع البحرين، ج1/ ص595؛ الزبيدي، تاج العروس، ج3/ ص162؛ الأنصاري، الموسوعة الفقهية الميسرة، ج1/ ص184. كما إن هناك موضع في بلاد الشام أطلق عليه (الحوار). البكري، معجم ما استعجم، ج2/ ص478 .

(3) الجوهري، الصحاح، ج2/ ص640؛ الرازي، مختار الصحاح، ص91؛ ابن منظور، لسان العرب، ج4/ ص218؛ الزبيدي، تاج العروس، ج3/ ص162.

(4) ابن السكيت، ترتيب إصلاح المنطق، ص135.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج15/ ص278؛ الطريحي، مجمع البحرين، ج1/ ص351؛ الزبيدي، تاج العروس، ج7/ ص254 .

(6) الجوهري، الصحاح، ج2/ ص633 وج6/ ص2278؛ ابن منظور، لسان العرب، ج4/ ص197 وج14/ ص68؛ الزبيدي، تاج العروس، ج3/ ص146 .

(7) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4/ ص197- ص198؛ القلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص26- ص27 .

(8) ابن منظور، لسان العرب، ج4/ ص12- ص13؛ الزبيدي، تاج العروس، ج3/ ص10 .

(9) فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ص296 وص429؛ القلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص487 .

(10) سورة المجادلة: آية 1 .

(11) سورة الروم: آية 22 .
(12) سورة هود: آية 118 .
(13) ينظر: الطبري، جامع البيان، ج12/ ص183- ص184؛ الطوسي، التبيان، ج6/ ص83- ص84؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج4/ ص132- ص134 .
(14) سورة هود: آية 119 .
(15) سورة البقرة: آية 213 .
(16) سورة الروم: آية 30 .
(17) سورة البقرة: آية 111 .
(18) سورة الذاريات: آية 39 .
(19) الطبري، جامع البيان، ج27/ ص4- ص5؛ الطوسي، التبيان، ج9/ ص391 .
(20) سورة الذاريات: آية 52 .
(21) سورة المائدة: آية 44؛ سورة المائدة: آية 47؛ سورة النساء: آية 65 .
(22) سورة المائدة: آية 47 .
(23) سورة مريم: آية 43 .
(24) سورة النحل: آية 125 .
(25) سورة العنكبوت: آية 46 .
(26) ينظر: الحكيم، علوم القرآن الكريم، ص450- ص451 وص466 .
(27) ينظر: جاسم والسويطي، صورة الشيطان في الفكر الإسلامي، ص 4- ص7 .
(28) سورة الأعراف: الآيات 11- 18 .
(29) هو الإمام أبو حنيفة بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة (80هـ)، وأسس المذهب الحنفي، وقد جاء فيه بآراء ووجهات نظر جديدة خالف فيها علماء عصره، ومنهم الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، توفي في بغداد سنة (150هـ) ودفن فيها. ينظر ترجمته: ابن خياط، طبقات خليفة بن خياط، ص612؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13/ ص424- ص426؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6/ ص390- ص403 .
(30) الحراني، تحف العقول، ص411؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج75/ ص323 .
(31) الصدوق، التوحيد، ص96؛ عيون أخبار الرضا، ج2/ ص126؛ وينظر: الحراني، تحف العقول، ص412؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج5/ ص4 وج10/ ص247 وج108/ص59؛ الجزائري، نور البراهين، ج1/ ص245؛ الحسني، سيرة الأئمة الاثني عشر، ج2/ ص298 .
(32) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج2/ ص126؛ الحراني، تحف العقول، ص412؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج5/ ص4 وج10/ ص247 وج108/ص59؛ القرشي، حياة الإمام موسى بن جعفر، ج1/ ص64.
(33) هو أحد تلاميذ الإمام أبو حنيفة، ولد في واسط سنة (132هـ) ونشأ في الكوفة وتتلمذ على يد أبي حنيفة، وله جملة من التصانيف في الفقه والحديث، روى كتاب (الموطأ) عن الإمام مالك بن أنس (ت179هـ)، وضمنه

زيادات كثيرة ليست في غيره من الموطأت التي رواها غيره من العلماء، وله فيه اجتهادات كثيرة خالف فيها مالكاً وأبا حنيفة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9/ ص134- ص136 .

(34) المفيد، الإرشاد، ج2/ ص235؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج2/ ص168؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج2/ ص290 .

(35) هو هشام بن الحكم الشيباني بالولاء، ولد بالكوفة، ونشأ بواسط، وسكن بغداد، لازم الإمام الصادق عليه السلام وتتلمذ عليه، حتى صار من كبار متكلمي الشيعة، توفي سنة (190هـ)، وترك جملة من الكتب، منها: كتاب (الإمامة) وكتاب (القدر). ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص136؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، ج7/ ص191- ص192؛ الزركلي، الأعلام، ج8/ ص85 .

(36) الصفار، بصائر الدرجات الكبرى، ص156 وص360؛ القمي، الإمامة والتبصرة، ص139؛ الصدوق، التوحيد، ص270- ص275؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج10/ ص234- ص241 .

(37) الطبرسي، إعلام الورى، ج2/ ص28- ص29؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج3/ ص431؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج6/ ص351؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج48/ ص144 وج75/ ص334.

(38) سورة الفرقان: آية 45 .

(39) الطبري، دلائل الإمامة، ص230- ص231 وص237؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج5/ ص73 وص181- ص182؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج46/ ص309- ص310 .

(40) الحميري القمي، قرب الإسناد، ص330؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج10/ ص245 .

(41) سورة الأعراف: آية 33 .

(42) سورة البقرة : آية 219.

(43) هو علي بن يقطين بن موسى، ولد بالكوفة سنة (124هـ)، وكان والده من علماء الأمامية، لذلك طورد من قبل الدولة الأموية، وبعد إن انتقلت الخلافة إلى العباسين، كُلف علي بن يقطين بمهام الوزارة لثلاث من خلفاء بني العباس، هم: المهدي والهادي ومدة قليلة مع هارون الرشيد، توفي في بغداد سنة (182هـ) تاركاً تراثاً فكرياً غنياً في الفقه الشيعي تمثل بعدد من الرسائل والكتب. ينظر: ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج4/ ص202- ص204 .

(44) الكليني، الكافي، ج6/ ص406؛ الراوندي، فقه القران، ج2/ ص283؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج48/ ص149 وج76/ ص145؛ القرشي، حياة الإمام موسى بن جعفر، ج1/ ص449- ص450.

(45) هو هضبة عالية تقع في المدينة، وبقربه دارت المعركة الشهيرة بين المسلمين والمشركين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4/ ص173 وص237 ؟

(46) هي مدينة بمصر تلفظ بفتح أوله وكسر ثانيه ثم شين معجمة، وهي تمتاز بكثرة خيراتها وطيب مناخها، وقد انتسب لهذه المدينة عدد كبير من العلماء. ينظر: المصدر نفسه، ج4/ ص113- ص114.

(47) سيف البحر، يعني شاطئ البحر، وهي أحدى مدن بلاد فارس الكبيرة. ينظر: المصدر نفسه، ج2/ ص544 وج5/ ص131 .

(48) دومة بضم أوله حصن كبير بين الشام والمدينة، وسمي هذا الحصن بدومة الجندل لأنه شيد بالجندل، ثم صارت فيما بعد مدينة كبيرة. ينظر: المصدر نفسه، ج2/ ص487- ص488 .

(49) الكليني، الكافي، ج1/ ص543؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج4/ ص148؛ الراوندي، فقه القران، ص248؛ الاحسائي، عوالي اللئالي العزيزية، ج2/ ص78؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج48/ ص156- ص157؛ القرشي، حياة الإمام موسى بن جعفر، ج1/ ص451 .

(50) الطبرسي، الاحتجاج، ج2/ ص162؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج26/ ص353 وج48/ ص126؛ القمي، الأنوار البهية، ص343 .

(51) سورة الأنفال: آية 72 .

(52) سورة الأنعام: آية 84 .

(53) سورة آل عمران: آية 61.

(54) ينظر نص الحوار الكامل: الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج2/ ص78- ص82؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج2/ ص161- ص167؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج48/ 125- ص129 وج93/ ص240 - ص245 .

(55) هو الفضل بن الربيع بن يونس، ولد سنة (138هـ)، وتولى حجابة هارون ثم وزارته، وصار له الحل والعقد أيام الأمين، وكان له الفضل الكبير في أخذ البيعة لمحمد الأمين، اختفى عن الساحة السياسية بعد ظفر المأمون بالخلافة سنة (196هـ)، ومات في طوس سنة (208هـ). ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2/ ص432 وص454؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج2/ ص150- ص153؛ الزركلي، الأعلام، ج5/ ص148 .

(56) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص333؛ المفيد، الإرشاد، ج2/ ص234؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص215؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج48/ ص103 .

(57) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، الكوفي البغدادي، ولد سنة (113هـ)، تتلمذ منذ صغره على أبي حنيفة النعمان، ولي قضاء بغداد خلال حكم المهدي والهادي وهارون، وهو أول من لقب بقاضي القضاة، مات سنة (183هـ)، وترك جملة من المؤلفات العلمية، منها: كتاب (الخراج) وكتاب (أدب القاضي). ينظر: وكيع، أخبار القضاة، ج3/ ص158- ص159 وص254- ص264؛ الزركلي، الأعلام، ج8/ ص193 .

(58) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج2/ ص76؛ العاملي، وسائل الشيعة، ج12/ ص523 .

(59) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج3/ ص415- ص416؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج6/ ص423- ص424؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج48/ ص238- ص239 .

(60) القاضي النعمان، دعائم الإسلام، ج1/ ص56؛ الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج1/ ص116 .

(61) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج2/ ص98- ص99؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص216- ص217؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج6/ ص362- ص363؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج82/ ص317- ص318 .

(62) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13/ ص33؛ المزي، تهذيب الكمال، ج29/ ص50؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6/ ص273؛ القمي، الكنى والألقاب، ج2/ ص115 .

(63) هو بشر بن عبد الرحمن بن عطاء المشهور ببشر الحافي، ولد سنة (152هـ) في مدينة مرو، ثم انتقل إلى بغداد التي بها سكن واستقر وتعلم، حتى صار عالماً ومصلحاً وواعظاً، قيل عنه "ما أخرجت بغداد أتم عقلاً من بشر ولا أحفظ للسانه"، توفي سنة (227هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10/ ص469- ص475؛ الزركلي، الأعلام، ج2/ ص54 .

(64) المقدسي، كتاب التوابين، ص211؛ القمي، الكنى والألقاب، ج2/ 168 .
(65) سورة النحل: آية 125.
(66) الأربلي، كشف الغمة، ج3/ ص9؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج68/ ص425 .
(67) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج13/ ص30؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص271- ص272؛ الطبرسي، إعلام الورى، ج3/ ص27؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج6/ ص193- ص194.
(68) هو أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك، ولد سنة (120هـ)، وكان مؤدباً لهارون، فارتقى حاله أيام حكم هارون، وخوله بصلاحيات واسعة، ومنحه الوزارة، وكان أديباً وعالماً، مات في سجنه الذي أودع به بالرقة سنة (120هـ)، على أثر التغيير السياسي الذي سمي بنكبة البرامكة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج9/ ص89- ص91؛ الزركلي، الأعلام، ج8/ ص144 .
(69) المفيد، الإرشاد، ج2/ ص238؛ النيسابوري، روضة الواعظين، ص218؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج6/ ص355 .

قائمة المصادر والمراجع:

خير ما نفتتح به القرآن الكريم

* الاحسائي، ابن أبي جمهور (ت880هـ):

1- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق السيد المرعشي ومجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، (قم-1403هـ/1983م).

* الأربلي، علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت693هـ):

2- كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط2، دار الأضواء، (بيروت-1405هـ/1985م).

* البحراني، (السيد هاشم (ت1107هـ):

3- مدينة المعاجز، تحقيق لجنة التحقيق برئاسة الشيخ عباد الله الطهراني الميانجي، مؤسسة المعارف الإسلامية، (د.م- 1415هـ.ق).

* البكري، عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ):

4- معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، (بيروت- 1403هـ).

* جاسم، عطا سلمان والسويطي، محمد حسين:

5- صورة الشيطان في الفكر الإسلامي، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الخامس لجامعة واسط لسنة 2010- 2011م، والمنعقد بتاريخ 13-2011/12/14.

*** الجزائري، نعمة الله الموسوي (ت1112هـ):**

6- نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين، تحقيق السيد الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجماعة المدرسين، (قم-1317هـ).

*** ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/ 1200م):**

7- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، (بيروت- د.ت).

*** الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ):**

8- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط4، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (بيروت- 1407هـ).

*** الحسني، هاشم معروف:**

9- سيرة الأئمة الاثني عشر، ط2، منشورات مكتبة الحيدرية للمطبوعات، (د.ت- 1425هـ).

*** الحكيم، محمد باقر:**

10- علوم القرآن الكريم، ط3، (قم- 1417هـ).

*** الحميري القمي، أبو العباس عبد الله (ت300هـ):**

11- قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (قم-1413هـ).

*** الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ):**

12- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت-1417هـ).

*** خليفة بن خياط (ت240هـ):**

13- طبقات خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت-1414هـ).

* الخوئي، أبو القاسم الموسوي

14- معجم رجال الحديث، ط5، تحقيق لجنة التحقيق، (د.م- 1413هـ).

* الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت748هـ):

15- سير أعلام النبلاء، ط9، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، (بيروت-1413هـ).

* الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر (ت721هـ):

16- مختار الصحاح، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت- 1415هـ/1994م).

* الراوندي، قطب الدين (ت573هـ):

17- فقه القران، ط2، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي، (قم-1405هـ).

* الزبيدي محمد مرتضى (ت1205هـ):

18- تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة (بيروت- د.ت).

* الزركلي، خير الدين:

19- الأعلام قاموس تراجم، ط5، دار العلم للملايين، (بيروت- د.ت).

* السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ):

20- طبقات الشافعية الكبرى، ط2، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود.عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م- 1413ه).

* ابن السكيت:

21- ترتيب إصلاح المنطق، تحقيق وشرح الشيخ محمد حسن، مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة، (مشهد- 1412هـ).

* سليمان، كامل:

22- الإمام موسى الكاظم باب الحوائج، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت- 2000م).

* الشيخ الصدوق (ت381هـ):

23- التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، جماعة المدرسين، (قم-1387هـ).

21- عيون أخبار الرضا، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت-1404هـ).

* ابن شهر اشوب، ابن شهر (ت588هـ):

24- مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، (النجف-1376هـ/ 1956م).

* الصفار، محمد بن الحسن بن الفروخ (ت290هـ):

25- بصائر الدرجات الكبرى، تحقيق ميرزا محسن كوجه باغي، مؤسسة الأعلمي، (طهران-1362ش/ 1404ق).

* الطبرسي، أحمد بن علي (ت560هـ):

26- الاحتجاج، تحقيق السيد محمد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، د.م-د.ن).

* الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت548هـ):

27- إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق مدرسة آل البيت لإحياء التراث، (قم-1417هـ).

* الطبرسي، المحقق النوري (ت1320هـ):

28- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (د.م-1408هـ).

* الطبري، محمد بن جرير بن رستم الشيعي (ت أوائل القرن الرابع الهجري):

29- دلائل الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعث، (قم-1413هـ).

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م):

30- جامع البيان عن تأويل آي القران، ضبط وتوثيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، (بيروت-1415هـ).

* الطريحي، فخر الدين (ت1085هـ):

31- مجمع البحرين، ط2، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتبة ناشر الثقافة الإسلامية، (د.م-1408هـ).

* الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت460هـ):

32- التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مطبعة مكتبة الإعلام السياسي، (د.م- 1409هـ).

33- تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الخرسان وتصحيح الشيخ محمد الأخوندي، دار الكتب الإسلامية، (د.م-1365ش).

* فتح الله، أحمد:

34- معجم ألفاظ الفقه الجعفري، (د.م- 1415هـ).

* القاضي النعمان، نعمان بن محمد بن منصور بن أحمد (ت363هـ):

35- دعائم الإسلام، تحقيق اصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، (د.م-1383هـ/1963م).

* القرشي، باقر شريف:

36- حياة الإمام موسى بن جعفر، دار الأنوار للمطبوعات، (النجف-1970م).

* القلعجي، محمد:

37- معجم لغة الفقهاء، (د.م- د.ت).

* القمي، ابن بابويه (ت329هـ):

38- الإمامة والتبصرة في الحيرة، تحقيق مدرسة الإمام المهدي، (قم- د.ت).

* القمي، عباس:

39- الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم-1417هـ).

40- الكنى والألقاب، (د.م- د.ت)

* الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت329هـ/940م):

41- الكافي، ط3، تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، (أخوندى-1367هـ).

* المزي، أبو الحجاج يوسف (ت742هـ):

42- تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف، (د.م- 1413هـ)

* المقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت620هـ/ 1223م):

43- كتاب التوابين، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية، (بيروت-1403هـ).

* ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت711هـ/ 1311م):

44- لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، (د.م- 1405هـ).

* ابن النجار، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن (ت643هـ).

45- ذيل تاريخ بغداد، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت-1417هـ).

* النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي (ت450هـ/ 1058م):

46- رجال النجاشي، ط5، تحقيق السيد موسى البشيري، مدرسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم- 1416هـ.ق).

* وكيع، محمد بن خلف بن حيان:

47- أخبار القضاة، دار عالم الكتب، (بيروت- د.ت).

* ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت626هـ):

48- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- د.ت).

* اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت بعد 292هـ):

49- تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت- د.ت).